

العقل في القرآن الكريم

للأستاذ قديرى حافظ طوقان

العقل أساس

الدين ومنبع السلم
ومطلبه ، وهل
تقدم علم أو ازدهر
فنّ إلا على أساس
العقل؟ وهل يستقيم
دين بلا عقل؟ وهل
يعرف إنسان ما أمر
الله به وما نهى عنه
إلا بالعقل؟

وعلى أساس

العقل شرعت



الشرائع وسنت القوانين وقامت الحضارات وامتدت المدينيات .
لهذا لا عجب إذا ورد ذكره في كتاب الله وعلى لسان نبيه
الكريم . فقد شرف الله العقل وأعلى مكانته ، وعظم الرسول
العقل وقدس حرمة . ومجده الفلاسفة والحكام والعلماء
فصرفوا جهودهم إلى إعلاء شأنه بالبحث فيه والرجوع إليه
لقد أهل القرآن العقل منزلاً سامياً وجعله نوراً يهدي به
الناس وطالبهم باستعماله والتحاكم إليه رسماً نوراً في قوله تعالى :
« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ... » وسبحي العلم
المتفاد منه روحاً وروحياً فقال تعالى : « وأوحينا إليك روحاً
من أمرنا ... » وقال : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له
نوراً يمشى به في الناس ... »

وحين يجادل القرآن الماديين والدمريين وأرباب الملل
والنحل إنما يجادلهم بالبرهان ويدعوهم إلى إنعام النظر والفكر،
بجمل ذلك في قوله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم

أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام
بل هم أضل . أولئك هم الفاقلون . » وقد حمل القرآن على المقلدين
الذين يعطلون عقولهم ولا يستعملونها ، فقال في موضع « إن
شر الدواب عند الله الصم البكم العمى الذين لا يعقلون » وقال
في موضع آخر . « أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون »
وكثيراً ما وردت آيات تنهى بهذه الجوامع « بل أكثرهم لا
يعقلون » « قل ها توارى هانكم إن كنتم سادقين ، أفلا تسمعون؟
إنما يتذكر أولو الألباب ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون . . » ولم
يقف القرآن عند هذه الحدود ، بل أمر بإحسان استعمال السمع
والبصر والعقل حتى يهتدى الإنسان عن طريقها إلى الحق
والحقيقة ، ويكون الحق واضحاً عنده والحقيقة ثابتة لديه : قال
تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد ،
كل أولئك كان عنه مسؤولاً ... »

وفي هذه الآية الجامعة الكريمة أصول رئيسية هي الثبوتية
في أصول النظر العلمي ، فلقد أمر بالمشاهدة الصحيحة والتفكير
الصحيح ، وأن على الإنسان أن يتمسك بما يصل إليه من حق
أو حقيقة عن هذين الطريقين ، المشاهدة والتفكير .

ولسنا بحاجة إلى القول بأن الإسلام أكبر العقل إكباراً
دونه أي إكباراً ودعاً إلى تعظيمه وإجلاله والرجوع إليه دائماً
قال تعالى : « وآتيناه حكماً وعلماً » أي عقلاً وعلماً . وقال :
« ولقد آتينا لقمان الحكمة . » أي آتيناه الفقه والعقل وإصابة
القول في غير نبوة . وقال : « فاتقوا يا أولي الألباب . إن في
ذلك لعبرة لأولي الألباب » وقال : « وأشهدوا ذوى عدل منكم »
أي ذوى عقل . « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » أي
عقل ، « لينذر من كان حياً ... » أي عقلاً ، « ولقد بينا
الآيات لقوم يعقلون ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »
وهناك آيات جامعات تدهو الإنسان إلى النظر في الكون
والبحث في روائحه ، وإلى جعل العقل أساساً للتفكير والتفكير
في الطبيعة على جلالها وعظمتها كما تستحقه على إطلاق تفكيره
في السموات والأرض والوجود وما على الأرض ومن عليها .
ولفت نظره إلى السماء كيف رفعها ، وإلى الأرض كيف سطحها ،
والجبال كيف نصبها ، وإلى الإنسان كيف خلقه ، وإلى الأنام كيف

ربكم « وبين أن الله يأخذ بالعقل ويمطى بالعقل ويثيب به ويعاقب على أساسه ، وما تم دين أحد بالأعقل ، وما عبد الله بشيء أحب إليه من العقل ويمثل العقل .

روى لقمان بن أبي عامر عن أبي الدرداء أن رسول الله قال : « يا عويمر ازدد عقلاً ازدد من ربك قرباً ، قلت : بأبي أنت وأمي ومن لي بالعقل ؟ قال اجتنب محارم الله وأدب فرائض الله تكن عاقلاً ، ثم تنقل بصالحات الأعمال ازدد في الدنيا عقلاً وتزد من ربك قرباً وبه عزاً ... » وروى أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : « أئني على رجل عند رسول الله يخير فقال كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله إن من عبادته ... إن من خلقه ... إن من فضله ... إن من أدبه .. فقال كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله نثنى عليه بالمعبادة وتسلنا عن عقله ، فقال رسول الله : « إن الأحسن العابد يصيب بجهد أعظم من لجور الفاجر ، وإنما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم » ويرى الرسول أن الحياء من مستلزمات العقل فلا يكونان إلا مع العقل ولا يسيران إلا في كنفه .

والعقل نور جملة الله للدين أصلاً وللدنيا عماداً به يميز الحق من الباطل وتعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات وعليه يقوم النجاح ويكون الفلاح . قال عليه السلام « العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل » وقال « أفلح من رزق لبا » أي عقلاً .

أوجدتها ، وإلى النباتات كيف أنبتها فقال تعالى : « وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل . إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » وقال جل وعلا « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » وقال : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقال « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . وقال « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا النهار ممشياً وبيننا فنونكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المصرات ماءً نجاجاً لنخرج به حياً ونباتاً وجاتاً أعافاك . » وقال « فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شققاً ، فأنبتنا فيها حياءً ونباتاً وقضياً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً ، وفاكهة رباباً ، متاعاً لكم ولأنعامكم ... » وقال « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » وقال « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حياءً فمنه يأكولون » .

ولا شك أن هذا النمط من الآيات الجماعات والأقوال اليبينات مما يرشد الناس إلى التفكير في الكون وخبيايا الأرض وأسرار الحياة والتطلع إلى خفايا الوجود . وهذا ينطلق العقل البشري باحثاً متقبلاً متطلماً مما يؤدي إلى الوصول إلى دقائق الحقائق في الوقوف على نظام هذا الكون وموجوداته على تمددها وتبينها وتمقدها . كذلك كان الرسول ينظر إلى العقل نظرة كلها تعظيم وإجلال ، فقد رأى فيه أنه أصل الدين وأساسه ، وأن لا دين لمن لا عقل له قال عليه السلام حين سأله علي عن سنته : « . . . والعقل أصل ديني » وأسس بالتواصي بالعقل والرجوع إليه ففيه النجاة وفيه الأمان . قال عليه السلام : « اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتهم عنه . واعلموا أنه ينجدكم عند

صيرته القارى

الكتب الآتية

ضرورة ثقافة فكرك ولسانك

تاريخ الأدب العربي : أبو ستار أصم من الزيات

آلام فرتر : للشاعر الفيلسوف « موتز »

رفائيل : للشاعر الحب والجمال « مورتين »

اطلبها من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة